

المكتبة الخضراء للأطفال

٤٣

النجم الكبير



بقلم : دكتورة زهيرة البيلي

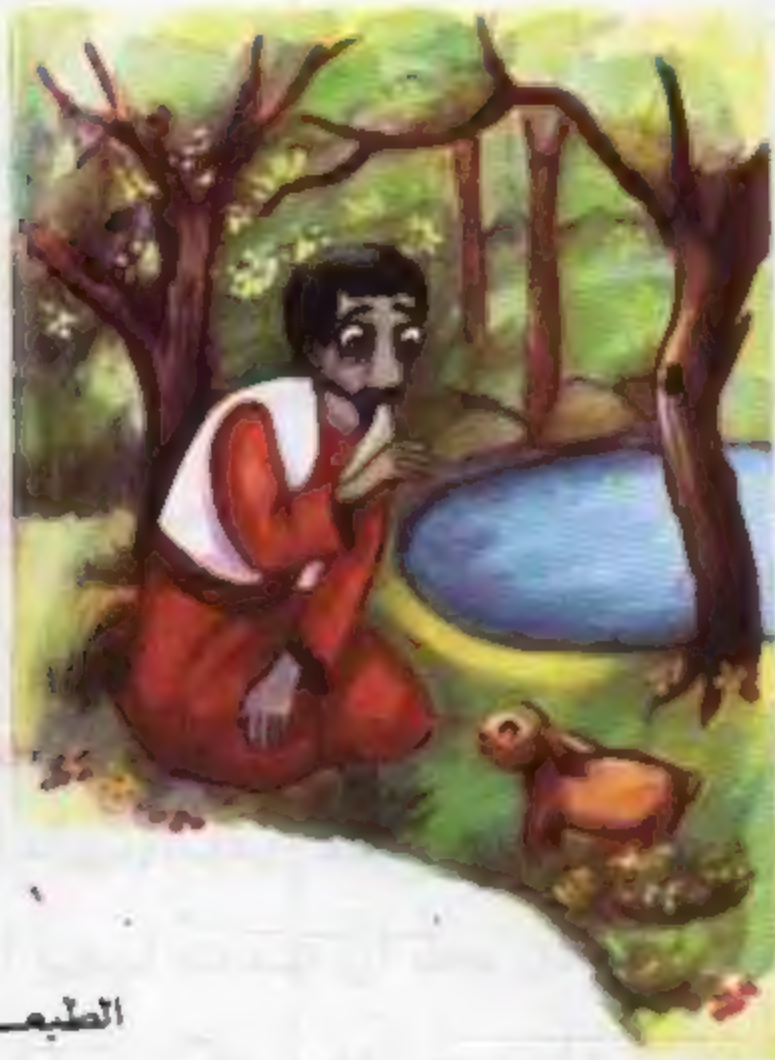


رسوم : منى جامع

المكتبة الخضراء للأطفال

٤٣

النجم الكبير



الطبعة الرابعة

رسم: منى جامع

بقلم: دكتورة زهيرة البيلى



دارالمعارف

فِي أَحَدِ أَيَّامِ فَصْلِ الشِّتَاءِ، كَانَ الْجَوُّ شَدِيدَ الْبَرُودَةِ إِلَى دَرَجَةِ
أَنْ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ أَخَذَتْ تَبَحُّثُ لِنَفْسِهَا عَنْ مَكَانٍ دَافِيٍّ
تَخْتَبِي فِيهِ.

وَسَطَ الْبَرْدِ الْقَارِصِ مَشَى الثَّعْلَبُ الَّذِي كَانَ يُعَانِي مِنَ الْعَرَجِ
الْبَسِيطِ وَسَطَ الْعُشْبِ لِيَحْتَمِيَ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، فَأَخْفَى ذَيْلَهُ
بَيْنَ سَاقِيهِ وَأَخَذَ يَنْوِي وَيَقُولُ: هَذِهِ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ لَا مَفْرَءَ مِنَ الْجَلِيدِ
الَّذِي يُغْطِي الْأَرْضَ.

فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ زَقَزَقَتْ الْعَصَافِيرُ الْخَضِرَاءُ الصَّغِيرَةُ قَائِلَةً:
لَقَدْ مَاتَتِ الْأَرْضُ الْعَجُوزُ وَالتَفَتَتْ بِثُوبِهَا الْأَبْيَضِ.

لَكِنْ الْيَمَامُ لَمْ يَعْجِبْهُ هَذَا الْحِوَارُ الْمَتَشَائِمُ عَنْ مَوْتِ الْأَرْضِ
بِسَبَبِ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ فَرَدَّ قَائِلًا: إِنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَمُتْ، إِنَّهُ يَوْمٌ
عُرْسُهَا وَهِيَ تَرْتَدِي ثُوبَ الزَّفَافِ الْأَبْيَضِ.

وَسَطَ هَذَا الْجَوِّ الْبَارِدِ الْغَرِيبِ سَارَ أَحَدُ الْحَطَّابِينَ بِرَفْقَةِ
زَمِيلٍ لَهُ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى مَنْزِلِهِمَا بَعْدَ انْتِهَاءِ يَوْمٍ طَوِيلٍ مِنَ
الْعَمَلِ الشَّاقِّ، أَخَذَا يَضْحَكَانِ بَعْدَ أَنْ بَدَتْ لِهَمَّا الْأَرْضُ كَأَنَّهَا
وَرْدَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْفُضَّةِ وَأَصْبَحَ الْقَمَرُ مِثْلَ وَرْدَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ
الذَّهَبِ. لَكِنْ بَعْدَ قَلِيلٍ وَفَجْأَةً لَمَعَ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ كَبِيرٌ وَسَطَ
الظَّلَامِ، إِنْسَابَ بِذِيلِ بَرَاقٍ طَوِيلٍ، ثُمَّ سَقَطَ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ
أَشْجَارِ الصَّفْصَافِ عِنْدَ أَحَدِ الْمَرَاعِي الْوَاسِعَةِ.



ومن شدة الدهشة صرخ الحطابُ قائلاً: مَا هَذَا؟! لا بد إنها
حقيبة مليئة بالذهب، وبالفعل اندفع الحطابان بسرعة بحثاً
عن هذا الذهب، وعند أشجار الصفصاف وجدوا شيئاً مذهباً
لامعاً على الأرض. فإذا به معطفاً مُرصعاً بنجوم من الذهب،
وعندما فتح الرجلان المعطفَ لم يجدا بداخله الكنز المنتظر،
ولكن كانت المفاجأة، إذ وجدوا طفلاً جميلاً نائماً فقال الأول:
يا لها من نهايةٍ مؤسفةٍ لآمالنا وأحلامنا، فما فائدة هذا
الطفل؟! لنتركه كما هو ونُكمل طريقنا إلى البيت، إننا فقراءُ
ولدينا ما يكفي من الأبناء لإطعامهم. ولكن ردَّ عليه زميله
قائلاً: هل من المعقول أن نترك الطفل يموت من البرد، حقيقة
أننى أشدُّ فقراً منك ولدى عدد أكبر من الأطفال، لكننى سوف
أحمله إلى زوجتى حتى نعتنى به.

بحنان بالغ حمل الحطابُ الطفل الصغير بعد أن لفه جيداً
داخل المعطف، حتى يحميه من البرد. أخذ يضمه إلى صدره.
نزل الرجلان الربوة العالية في طريقهما إلى القرية، وتعجب
الحطابُ من تصرف زميله ورقة قلبه المرهف، وعندما
وصل الرجلان، قال الحطابُ الأول لصديقه: بما أنك أخذت
الطفل، أعطني المعطف، هكذا نصبح متساويين. لكن الحطابُ
ردَّ عليه قائلاً: لا، إن المعطف ملك للطفل الصغير، لذا فهو
ليس من حقنا.



عندما فتحت زوجة الحطّاب الباب ورأت زوجها الذي عاد إليها سالماً، أخذت تشكر الله على نعمته، ثم سألت عن هذا الشيء الذي يحمله فوق ظهره. فأسرع الحطّاب بالقول: لقد وجدت شيئاً في الغابة فأحضرتُه لك لتتولى رعايته.

وخوفاً من ردود فعل زوجته لم يتحرك الحطّاب من فوق عتبة الباب. فسأله الزوجة: ما هذا الشيء؟! أرني ماذا أحضرت لنا؟! البيت خالٍ من كل شيء، والأولاد في انتظار الطعام.

لكن عندما أراح الحطّاب طرف المعطف لمحت الزوجة طفلاً صغيراً ينام في سلام. فأخذت تُردد: ما هذا يا رجل؟! إن لدينا ما يكفي من الأولاد، وما أدراك إنه سوف يجلب لنا الحظ؟! وكيف لنا أن نسهر على تربيته؟!!

ثارت الزوجة على زوجها الذي أجاب على الفور: لا.. إنه طفل جاء به الذئب الكبير من السماء.. وأخذ الحطّاب يحكي لزوجته ما حدث، وكيف تم العثور على هذا الطفل البريء. فكان من الصعب على المرأة أن تدرك حقيقة الأمر أو أن تهتدأ. وأخذت تسخر من زوجها، ثم قالت له بغضب: إن أطفالنا لا يجدون قطعة واحدة من الخبز، فكيف نُطعم طفل الآخرين؟! أجابها الزوج: إن الله وحده هو الذي يُطعم كل

المخلوقات، هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ بِالطَّعَامِ لِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، الْعَصَافِيرُ
وَالطَّيُورُ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ. هُنَا سَأَلَتْهُ الزَّوْجَةُ: أَلَا تَمُوتُ
الْعَصَافِيرُ مِنَ الْجُوعِ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ؟

لَمْ يَنْطِقْ الرَّجُلُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْ فَوْقِ عَتَبَةِ
الْبَابِ، لَكِنْ عِنْدَمَا هَبَّتِ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ لَتَمْلِئَ الْحَجَرَةَ
بِالصَّقِيعِ، تَرَاوَعَتِ الزَّوْجَةُ عَنْ مَوْقِفِهَا قَائِلَةً: أَلَيْسَ مِنْ
الْأَفْضَلِ أَنْ تَغْلُقَ هَذَا الْبَابَ؟ إِنَّنِي أَشْعُرُ بِالْبَرْدِ الشَّدِيدِ، رَدَّ
عَلَيْهَا الرَّجُلُ قَائِلًا: إِنَّ الْمَنْزَلَ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ قَلْبٌ قَاسٍ لَا يَبْدُ
أَنْ يَدْخُلَهُ الْهَوَاءُ الْبَارِدُ.

وَدُونَ أَنْ تَنْطِقَ الزَّوْجَةُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، اقْتَرَبَتْ مِنَ الْمَدْفَأَةِ،
وَبَعْدَ لَحْظَةٍ إلتفتت إِلَى زَوْجِهَا وَقَدْ اِمْتَلَأَتْ عَيْنَاهَا بِالْذَّمْعِ،
فَاقْتَرَبَ مِنْهَا الزَّوْجُ لِيَضَعَ لَهَا الطِّفْلَ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا، وَأَخَذَتْ
الزَّوْجَةُ تُقْبِلُ الطِّفْلَ ثُمَّ وَضَعَتْهُ فَوْقَ السَّرِيرِ لِيَنَامَ بِالْقَرْبِ مِنْ
أَصْغَرِ أَطْفَالِهَا.

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ وَضَعَ الْحَطَّابُ الْمَعْطَفَ الْمَرْصِعَ بِالنَّجُومِ
الذَّهَبِيَّةِ فِي دَوْلَابٍ قَدِيمٍ، بَيْنَمَا احْتَفَظَتْ زَوْجَتُهُ بِالْقِلَادَةِ
الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الْعَنْبَرِ الَّتِي كَانَ يَرْتَدِيهَا الطِّفْلُ فِي مَكَانٍ أَمِينٍ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَتَرَبَّى الطِّفْلُ ابْنُ النَّجْمِ الْكَبِيرِ وَسَطَ أَبْنَاءِ
الْحَطَّابِ، عَاشَ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ حَيْثُ شَارَكَ بِقِيَّةِ الْأَوْلَادِ
الْعَابِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ. وَعَامٌ بَعْدَ عَامٍ أَزْدَادَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ صِحَّةَ

وجمالاً، كَانَ شَعْرُهُ الْأَسْوَدُ الْفَاحِمَ نَدِيدَ اللَّمَعَانِ، أَمَّا بَشَرَتُهُ
فَكَانَتْ فِي لَوْنِ الْعَاجِ، كَمَا بَدَتْ شَفَتَاهُ كَأَنَّهُمَا وَرَقَتَانِ لَوْرِدَةٍ
حَمْرَاءَ يَانِعَةٍ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ فِي لَوْنِ الْبَنَفْسِجِ.

لَكِنْ مِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ هَذَا الْجَمَالَ الْوَاضِحَ تَنَاقُضَ تَمَامًا مَعَ
صِفَاتِ الطِّفْلِ الَّذِي أَصْبَحَ فِيهِمَا بَعْدُ يُعْرَفُ بِالْأَنَانِيَةِ وَقَسْوَةِ
الْقَلْبِ، إِذْ بَدَأَ يَحْتَقِرُ أَبْنَاءَ الْحَطَّابِ وَكَذَلِكَ بِأَقْيِ الْأَطْفَالِ فِي
الْقَرْيَةِ، اعْتَبَرَ نَفْسَهُ ابْنَ الذَّجَمِ الْكَبِيرِ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي تَنْصِيبِ
نَفْسِهِ سَيِّدًا عَلَى الْجَمِيعِ.

عَاشَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ بِسَبَبِ تَصَرُّفَاتِ ابْنِ
الذَّجَمِ وَكَأَنَّا يُحَاوِلَانِ دَائِمًا إِصْلَاحَ سُلُوكِهِ قَائِلِينَ لَهُ: لَقَدْ عَكَفْنَا
عَلَى تَرْبِيَّتِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ، فَلِمَاذَا هَذِهِ الْقَسْوَةُ تَجَاةَ الْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ؟! كَمَا حَاوَلَ الْحَطَّابُ أَنْ يُلْقِنَهُ مِرَارًا دُرُوسًا فِي
الْحُبِّ حَتَّى يَتَعَلَّمَ الرَّحْمَةَ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي يَزْخَرُ بِهَا
الْكُونُ. كَانَ يَقُولُ لَهُ: دَعِ الْعَصَافِيرَ تُحَلِّقْ وَسَطَ الْغَابَةِ فِي حُرِيَةٍ
وَسَلَامٍ. فَمَنْ تَكُونِ أَنْتَ لَتَجْلِبِ الثَّعَّاسَةُ وَالْأَلَمُ عَلَى الْآخَرِينَ؟
لَكِنْ ابْنُ الذَّجَمِ لَمْ يَهْتِمْ بِكُلِّ هَذِهِ الدَّرُوسِ الْجَمِيلَةِ، بَلْ أَخَذَ
يَسْخَرُ مِنْ كَلَامِ الْحَطَّابِ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ مَرَّتْ بِالْقَرْيَةِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ بَائِسَةٌ، مِنْ شِدَّةِ
التَّعَبِ جَلَسَتْ تَحْتَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ حَتَّى تَسْتَرِدَّ أَنْفَاسَهَا. لَكِنْ
بِمُجَرَّدِ أَنْ لَمَحَهَا ابْنُ الذَّجَمِ الْكَبِيرِ حَتَّى قَالَ لِأَصْدِقَائِهِ:



أترون؟؟! تحت هذه الشجرة الجميلة بفروعها الخضراء
اللامعة، شحاذة دميمة، هيا لنطردها من هناك.

بعد أن اقترب منها ابن النجم، أخذ يلقي عليها الحجارة،
فخافت المرأة العجوز وأخذت تنظر إليه بخوف شديد، لكن دون أن
يغيب عن عينيها لحظة. ولأن الحطاب كان يقوم بعمله في ذلك اليوم
عند الغابة، لمح ابن النجم فجرى إليه مسرعا لينقذ المرأة المسكينة
منه وأخذ يقول له: ماذا فعلت لك هذه المرأة لتعاملها بهذه القسوة؟

ومن شدة الغضب ازداد وجه الغلام احمرارا، وأخذ يدق الأرض
بقدميه ويقول: من تكون أنت حتى تؤذيني؟ لست ابنك حتى
أطيعك، أجاب الحطاب: أنت على حق.. لكنني عطفت عليك عندما
وجدتك وحيدا وسط الغابة.

عندما سمعت المرأة العجوز هذه الكلمات، صرخت ثم وقعت
على الأرض مغشيا عليها. فحملها الحطاب إلى البيت لتعتني
بها زوجته ولتقدم لها الطعام والشراب.

لم تكن المرأة تريد شيئا من كل هذا، لكنها أخذت تسأل
الحطاب: لقد سمعتك تقول إنك وجدت الطفل وسط الغابة،
فهل كان هذا منذ عشر سنوات؟ أجابها الحطاب: نعم.. لقد
وجدته وسط الغابة، فردت المرأة المسكينة: هل كانت معه
علامات مميزة؟ ألم يكن يرتدى قلادة من العنبر؟ ألم يكن



ملفوفاً داخل معطفٍ مطرّزٍ بنجومٍ من الذهب؟ قال لها الحطّابُ
على الفور: نعم، هذا كل ما حدث، وأسرع الرجل ليخرج
المعطف من الدولاب القديم ليقدّمه للمرأة التي انهمرت في
البكاء وبمجرد أن رأت المعطف أخذت تقول بفرحة: إنه
ابنى. لقد ضاع منى وسط الغابة، أرجوك نادى عليه فأنا أريده
الآن بعد أن بحثت عنه طويلاً.

خرج الحطّابُ وزوجته ليناديا على ابن النّجم الكبير وقالا
له: تعال إلى البيت إن والدتك فى انتظارك. بعد أن دخل
الغلام بسرعة وهو فرحان، ضحك عندما رأى المرأة التي فى
انتظاره فقال: لكن، أين أمى؟! إننى لا أرى سوى هذه المرأة
العجوز. فقالت له المرأة: إننى أمك.. رد عليها الغلام بغضبٍ
شديد: هل جننت؟! كيف تقولين ذلك؟! إننى ابن النّجم
الكبير، أما أنت فمجرد امرأة دميمة مهلهلة الثياب، لا أريد
أن أرى وجهك، أخذت المرأة المسكينة تردد: لا.. لا.. أنت
طفلى الصغير، لقد ولدت وسط الغابة.

انهارت المرأة جاثية على ركبتيها تتوسل إليه ليسمعها،
وأخذت تحكى له حقيقة ما حدث: لقد خطفك اللصوص،
لكننى تعرفت عليك الآن، هذه القلادة، وهذا المعطف المرصع
بالنجوم، تعال إلى لقد بحثت عنك طويلاً، إننى فى حاجة إلى
حبك الآن.

لَكِن الْغَلَامَ بَقِيَ جَامِدًا فِي مَكَانِهِ بِلَا حَرَاكَ، لَا يَنْصُتُ لِبَكَاءِ الْمَرْأَةِ. وَعِنْدَمَا تَكَلَّمَ أَخِيرًا قَالَ بِصَوْتٍ جَافٍ: إِذَا كُنْتُ حَقًّا أُمِّي فَقَدْ كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا تَأْتِيَ إِلَى هُنَا، فَأَنَا أَشْعَرُ بِالْخِزْيِ أَمَامَ الْجَمِيعِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ ابْنَ النُّجْمِ الْكَبِيرِ، أَذْهَبِي.. أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أُرَاكَ. قَالَتِ الْمَرْأَةُ بِحُزْنٍ بَالِغٍ: قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ تَعَالَي لِتُقْبِلَنِي، لَقَدْ قَاسَيْتُ كَثِيرًا مِنْ أَجْلِكَ.. قَالَ الْغَلَامُ: لَا.. أَهْوَنَ عَلَيَّ أَنْ أَقْبَلَ الْحَيَّةَ أَوِ الضَّفَدَعَ السَّامَ.

نَهَضَتِ الْمَرْأَةُ بِإِعْيَاءٍ، وَاتَّجَهَتْ فِي اتِّجَاهِ الْغَابَةِ وَهِيَ تَبْكِي بِمِرَارَةٍ. وَعِنْدَمَا رَأَتْهَا ابْنُ النُّجْمِ وَهِيَ تَبْتَعِدُ، شَعَرَ بِالْارْتِيَاكِ ثُمَّ أَخَذَ يَلْعَبُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَأَتْهُ أَصْحَابُهُ أَخَذُوا يَقُولُونَ لَهُ: ابْتَعِدْ عَنَّا، إِنَّمَا لَا نُرِيدُ أَنْ نَلْعَبَ مَعَكَ. لَقَدْ أَصْبَحَتْ حَقًّا مِثْلَ الضَّفَدَعِ السَّامِ وَأَشَدَّ قُبْحًا مِنَ الْحَيَّةِ. وَقَامَ أَصْدِقَاؤُهُ بِطَرْدِهِ بَعِيدًا عَنِ الْحَدِيقَةِ، فَأَصِيبَ ابْنُ النُّجْمِ بِالذَّهْشَةِ مِنْ أَمْرِ أَصْحَابِهِ وَأَخَذَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: لِمَاذَا يَقُولُونَ ذَلِكَ؟! سَأَذْهَبُ إِلَى نَبْعِ الْمَاءِ لِأَرَى وَأَشَاهِدَ جَمَالِي وَحُسْنِي فَوْقَ صَفْحَةِ الْمَاءِ.

عِنْدَمَا وَصَلَ الْغَلَامُ إِلَى نَبْعِ الْمَاءِ، إِذَا بِهِ يَرَى وَجْهَهُ قَدْ تَحَوَّلَ مِثْلَ الضَّفَدَعِ وَأَصْبَحَ جَسَدُهُ مِثْلَ الْحَيَّةِ. فَانْتَابَهُ الْخَوْفُ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَسَطَ الْحَشَائِشِ، وَأَخَذَ يَبْكِي بِصَوْتٍ عَالٍ وَيَقُولُ: لَقَدْ أَنْكَرْتُ أُمِّي وَطَرَدْتُهَا، إِنَّنِي حَقًّا أَنَانِي وَقَاسَى



القلب. سوف أذهب للبحث عنها في كل مكان، وجاءت ابنة
الخطاب تجرى إليه، ووضعت يدها على كتفيه وقالت له: لا
تحزن لأنك فقدت شكلك الجميل، ابق معنا ولن يسخر منك
أحد. رد عليها قائلاً: لا.. لقد كنت شديد القسوة مع أمي،
وعلى أن أذهب للبحث عنها الآن حتى تغفر لي وتصفح عني.

أخذ الغلام يجرى في اتجاه الغابة وهو ينادي على أمه
لكن دون أن يتلقى أية إجابة: أخذ ينادي عليها طيلة
اليوم حتى غابت الشمس، فتمدد وسط الحشائش من شدة
التعب، وأخذت العصافير تحلق من حوله في فزع، ولم
يبق بجانبه إلا الضفادع والثعابين.

استيقظ الغلام عند الفجر، ثم استأنف طريقه وسط الغابة
وهو مازال يبكي بمرارة، وأخذ يسأل كل من يقابله عن أمه،
فسأل الضفدع: أنت تتوغل بعيداً تحت الأرض، ألم تعثر على
أمي؟ رد عليه الضفدع قائلاً: لكنك في أحد الأيام فقت عيني،
فكيف أرى طريقى؟ ثم سأل العصفور الأخضر: إنك تحلق
بعيداً فوق الأشجار، ألم تر أمي؟ فقال له العصفور: لقد
كسرت أجنحتي لكي تسلي نفسك، فكيف أطيّر إذن؟ فسأل
السنجاب: أين أمي؟ أجاب السنجاب: لقد قتلت أمي، فهل
تريد أن تقتل أمك أيضاً؟

أنخرط ابن النجم الكبير طويلاً في البكاء طالبا من مخلوقات الله أن تسامحه، وفي اليوم الثالث وصل الغلام إلى آخر الغابة فنزل السهل، وعندما كان يمر بكل قرية، كان الأطفال يسخرون منه، ورفض الفلاحون أن يسمحوا له بالنوم حتى في حظائر الحيوانات، وابتعد عنه الناس بلا رحمة.

لم يعثر الغلام على أمه العجوز، وهام على وجه الأرض ثلاث سنوات دون أن تفارق خياله، ثلاث سنوات لم يعرف خلالها طعم الحب أو الرحمة، عاش وسط عالم خلقه لنفسه بسبب أنانيته وغروره.

وفي مساء أحد الأيام وصل الغلام إلى باب مدينة كبيرة تحيط بها الأسوار العالية بعد أن أنهكه التعب والإعياء. حاول اجتياز هذا الباب، لكن الحرس المسلح منعه وقالوا له بجفاء: لماذا جئت إلى هنا؟ وماذا تريد؟ أجاب الغلام: إنني أبحث عن أمي، أتوسل إليكم اسمحوا لي بالدخول، فربما أجدها في هذه المدينة، رد عليه أحد الحرس قائلا: في الحقيقة أن أمك لن تسعد بلقائك لأنك أكثر قبحا من الضفدع، اذهب بعيدا إن أمك لا تقيم في هذه المدينة. وقال له حارس آخر كان يمسك بيده راية صفراء: من هي أمك؟ ولماذا تبحث عنها؟ أجاب الغلام: أمي عجوز فقيرة، لقد عاملتها بقسوة وأتوسل إليكم أريدها أن تصفح عني، لكن الحرس رفضوا السماح له بالدخول



وأبعدوه عن طريقهم، عندما همَّ الغلامُ بالابتعاد، أوقفه أحدُ الحرس وقال لأصدقائه وهو يضحك: ما رأيكم؟ لنبيعَ هذا الغلامَ كعبدٍ وبثمنه نقضى ليلةً سعيدةً.

سمعَ هذا الحديثَ رجلٌ عجوزٌ كان ماراً بالصدفة فقال لهم: هل يمكنُ أنْ أشتريَ هذا الغلامَ؟ هاهي النقودُ؟ بعد أن دفعَ الرجلُ المبلغَ، أخذَ ابنُ النجمِ من يده، ودخلَ به المدينة؟ وبعد أن سارا وسطَ الشوارع والأزقة وصلَا إلى بابٍ خشبيٍّ مُغطى بأوراق الشجر. وفتحَ الرجلُ العجوزُ البابَ ونزلاً خمسَ درجاتٍ مصنوعةٍ من البرونز، فإذا بهما فجأةً وسطَ حديقةٍ كبيرةٍ، ثم أخرجَ الرجلُ من جيبه منديلاً مصنوعاً من الحرير، لفه حولَ عيني الغلامِ حتَّى لا يرى الطريقَ الذي سوفَ يسيران فيه.

عندما رفعَ الغلامُ المنديلَ عن عينه إذا به في زنزانةٍ لا يضيئها إلا مصباحٌ خافتٌ ووضعَ الرجلُ العجوزُ أمامَ الغلامِ قطعاً من الخبزِ العفنِ وقالَ له: هيا.. تناول طعامك. ثم وضعَ أمامه بعضَ الماءِ المالحِ وقالَ: هيا.. اشرب. بعد أن أكلَ الغلامُ وشربَ قيده الرجلُ بالسلاسلِ الحديديةِ وخرجَ وتركه بمفرده بعد أن أحكم غلقَ البابِ.

في صباحِ اليومِ التَّالي جاءَ الرجلُ العجوزُ الذي كان ساحراً معروفاً وقالَ له: في هذه الغابةِ القريبةِ توجدُ ثلاث قطعٍ من



الذهب، واحدة بيضاء والثانية صفراء والثالثة حمراء. عليك أن
تَحْضُرَ لى اليوم قطعة الذهب البيضاء، وإذا لم تأت بها سوف
أقوم بجلدك مائة جلدة. اذهب بسرعة الآن وسوف أنتظرك
قبل أن تغيب الشمس عند باب الحديقة.

كانت الغابة جميلةً ساحرةً تُحَلِّقُ فيها العصافيرُ
الملونة. وتزدهر فيها الأزهارُ برائحَتِها العطرة. فدخل
الغلام الغابة سعيدًا فرحًا لِيُبْحَثَ عن قطعة الذهب البيضاء.
لكن بعد عناءٍ طويلٍ لم يعثر على شيءٍ وضاع مجهوده بدون
جدوى. وعندما قاربت الشمس على المغيب اضطر الغلام
للعودة، فأخذ يبكى طيلة الطريق لأنه كان يعرف جيدًا المصير
الذى فى انتظاره. لكن عندما وصل إلى أطراف الغابة سَمِعَ
فجأةً صوتَ استغاثةٍ، فنسى ابن النجم حُزنه وجرى بسرعةٍ
فى اتجاه الصوت. فإذا به أمام أرنبٍ صغيرٍ وقع فى فخ
أحد الصيادين.

رَقَّ قلبُ الغلام وبسرعةٍ أخذ يُسَاعِدُ الأرنبَ حتَّى أطلقَ
سراحه، وقال: حَقِيقَةُ إننى من العبيد لكننى أستطيع أن
أمنحك الحرية. أجابه الأرنب الصغير قائلاً: لقد أطلقت
سراحى ماذا يمكن أن أقدم لك. قال له الغلام: إننى أبحثُ عن
قطعةٍ من الذهب الأبيض، وإذا لم أحضرها لسيدى فسوف
أضرب بالسياط، فقال الأرنب: تعال معى، أنا أعرف مكانها.

سار الغلام خلف الأرنب وعند فتحة صغيرة وسط شجرة
كثيفة لمح قطعة الذهب البيضاء. وبفرحة كبيرة أخذ الغلام
قطعة الذهب وقال للأرنب: لقد ساعدتك، وهما أنت تقدم لي
العون.. إنني أشكرك.

أخذ الغلام يجرى بسرعة صوب المدينة، وقبل أن يجتاز
البوابة الكبيرة وجد رجلاً عجوزاً يخفى وجهه ويمدُّ إليه يده
ويقول:

أعطني حسنةً لله، سأموثُ جوعاً، لقد طردوني من هذه
المدينة.. ارحمني.

قال له الغلام: إنني من العبيد، وليس معي إلا قطعة نقودٍ
واحدة، وإذا لم أعطيها لسيدي سوف يضربني، لكن الرجل
العجوز أخذ يتوسل إليه حتى أعطاه الغلام قطعة الذهب
البيضاء.

وعندما وصل الغلام إلى بيت الساحر، فتح له العجوز الباب
وسأله على الفور: هل أحضرت قطعة الذهب البيضاء؟ أجاب
الغلام: ليست معي. فانها ل عليه الساحر بالضرب. ثم ألقى
به داخل الحجرة المظلمة ووضع أمامه إناءً فارغاً وقال: اشرب
وتناول طعامك.



فى صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِىِّ جَاءَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ وَقَالَ لِلْغُلَامِ: إِذَا لَمْ تَحْضُرْ لِي قِطْعَةً الذَّهَبِ الصَّفْرَاءِ سَوْفَ تَبْقَى عِنْدِي عَبْدًا مَدَى الْحَيَاةِ، كَمَا سَوْفَ أَجْلِدُكَ ثَلَاثُمِائَةَ جَلْدَةٍ.

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْغُلَامِ إِلَّا أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْغَابَةِ لِيَبْحَثَ عَنْ قِطْعَةِ الذَّهَبِ الصَّفْرَاءِ وَلَكِنْ بَدُونِ فَائِدَةٍ. مِنْ شِدَّةِ الْعَنَاءِ وَالتَّعَبِ جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَخَذَ يَبْكِي عِنْدَمَا سَمِعَهُ صَدِيقُهُ الْأَرْنَبُ الصَّغِيرُ سَأَلَهُ:

لِمَاذَا تَبْكِي؟ هَلْ تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ؟

أَجَابَهُ ابْنُ النِّجَمِ قَائِلًا: أَبْحَثُ عَنْ قِطْعَةِ الذَّهَبِ الصَّفْرَاءِ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْهَا سَوْفَ يُعَاقِبُنِي سَيِّدِي بِالضَّرْبِ. قَالَ لَهُ الْأَرْنَبُ: تَعَالَ مَعِيَ.

جَرَى الصَّدِيقَانِ عِبرَ الْغَابَةِ الْوَاسِعَةِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى مُسْتَنْقَعٍ كَبِيرٍ، لَمَعَتْ فِي قَاعِهِ قِطْعَةُ الذَّهَبِ الصَّفْرَاءِ. فَقَالَ الْغُلَامُ لِلأَرْنَبِ:

كَمْ أَشْكُرُكَ يَا صَدِيقِي، هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي تَقْدُمُ لِي فِيهَا الْعَوْنُ وَالْمُسَاعَدَةُ. قَالَ الْأَرْنَبُ وَهُوَ يَجْرِي مِنَ الْفَرَحِ: لَقَدْ كُنْتُ عَطُوفًا مَعِيَ.

أَخَذَ الْغُلَامُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الصَّفْرَاءِ وَجَرَى بِسُرْعَةٍ إِلَى
الْمَدِينَةِ.

وَلَكِنْ عِنْدَمَا لَمَحَهُ الشَّحَاذُ الْعَجُوزُ جَرَى خَلْفَهُ وَرَكَعَ
عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَأَخَذَ يَقُولُ لَهُ: أَعْطِنِي بَعْضَ النَّقُودِ إِنَّنِي
أَمُوتُ جُوعًا. قَالَ لَهُ الْغُلَامُ: لَيْسَ مَعِيَ إِلَّا قِطْعَةُ الذَّهَبِ
الصَّفْرَاءِ وَإِذَا لَمْ أَعْطِهَا لِسَيِّدِي سَوْفَ أَظِلُّ لَهُ عَبْدًا مَدَى
الْحَيَاةِ.

لَكِنْ الْغُلَامُ رَقَّ لِحَالِهِ فَأَعْطَاهُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ، وَعِنْدَمَا
وَصَلَ إِلَى بَيْتِ السَّاحِرِ الْعَجُوزِ بَادَرَهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ قِطْعَةِ
الذَّهَبِ، قَالَ الْغُلَامُ:

لَيْسَتْ مَعِيَ قِطْعَةُ الذَّهَبِ الصَّفْرَاءِ، فَانْهَالَ عَلَيْهِ
السَّاحِرُ الْعَجُوزُ بِالضَّرْبِ ثُمَّ قَيَّدَهُ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ طَلَبَ السَّاحِرُ مِنَ الْغُلَامِ أَنْ
يَحْضُرَ لَهُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الْحُمْرَاءِ وَإِلَّا قَتَلَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ. سَارَ
الْغُلَامُ إِلَى الْغَابَةِ بَحْثًا عَنْ قِطْعَةِ الذَّهَبِ الْأَخْيَرِ، لَكِنْ
بِدُونِ فَائِدَةٍ، فَجَلَسَ يَبْكِي حَتَّى جَاءَ إِلَيْهِ صَدِيقُهُ الْأَرْنَبُ
الَّذِي قَادَهُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَغَارَةٍ مُظْلِمَةٍ لَمَعَتْ بِدَاخِلِهَا
قِطْعَةُ الذَّهَبِ الْحُمْرَاءِ.

جرى الغلام فى اتجاه المدينة بعد أن شكر صديقه
الأرنب على رقة مشاعره، لكنه التقى بالشحاذ العجوز
الذى نادى عليه قائلاً:

أعطني قطعة الذهب الحمراء وإلا مت جوعاً. وبلا
تردد أعطاه الغلام قطعة الذهب الحمراء، وقال له:

- إن مأساتك أكبر من مشكلتي.

عندما اجتاز الغلام أبواب المدينة، تجمع حوله
الحرس من كل جانب وقالوا له: لقد تحول شكلك
وأصبحت بهيئاً سمح الطلعة! ثم تجمع حوله الأهالى
وسمعهم يقولون: لم نر فى حياتنا من هو أحسن منك.
فقال ابن النجم الكبير لنفسه وهو يبكى: لا بد إنهم
يسخرون منى.

تزاحم الناس حول الغلام الصغير حتى أنه ضل
الطريق، فوجد نفسه أمام قصر الملك. وإذا بالبواب الكبير
يُفتح فجأة، ووجد الوزراء وكبار القوم فى استقباله
وقالوا له:

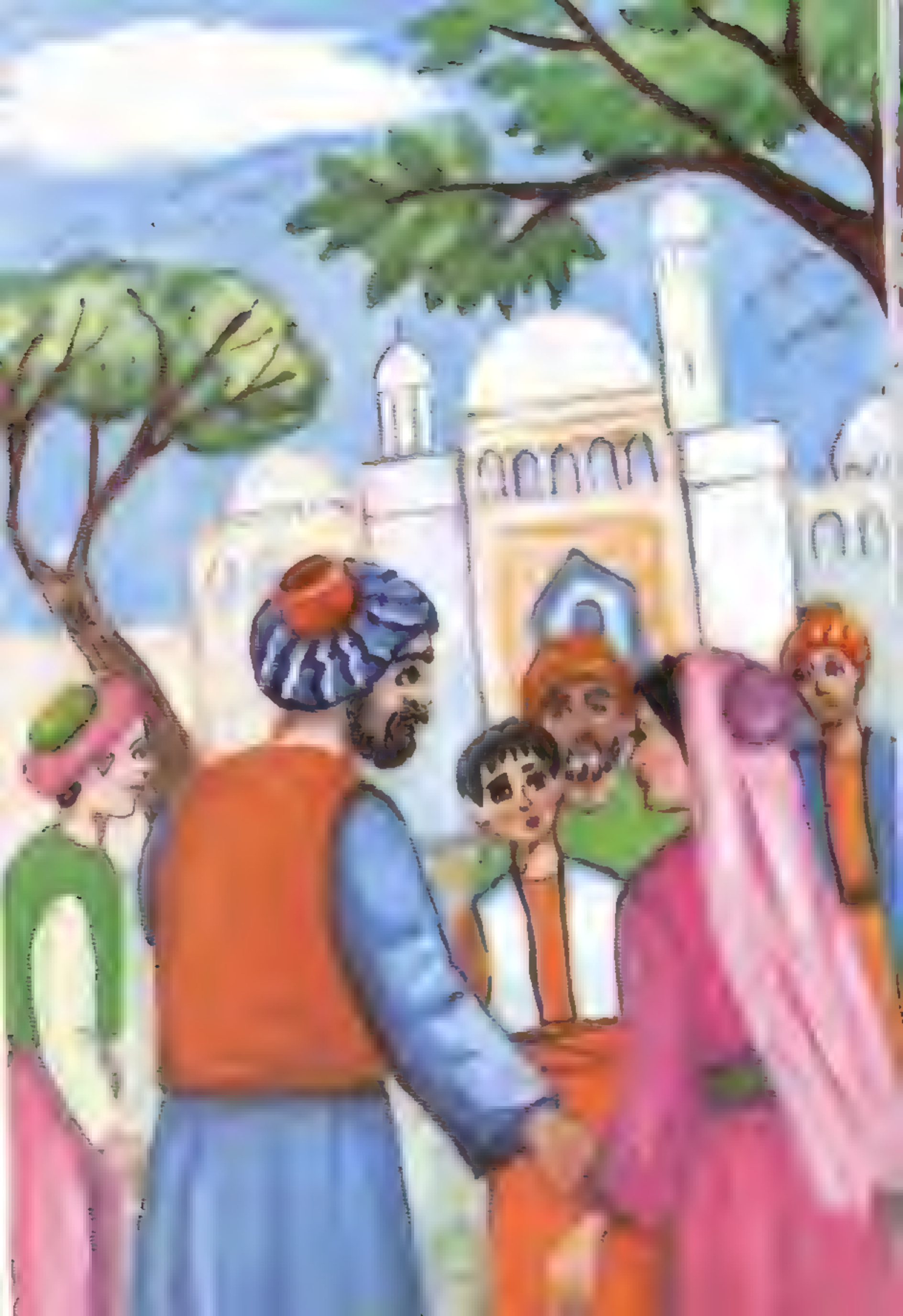
إنك الأمير الذى كنا فى انتظاره، أنت ابن الملك، فقال
ابن النجم بدهشة: لست ابن الملك، ولكن والدتى امرأة

فقيرة وأنتم تسخرون مني. اقترب منه أحد الحراس
وقال له: كيف يقول سيدي الأمير ذلك.

وبعد أن نظر الغلام إلى نفسه في المرآة اكتشف أنه عاد
إلى شكله الأول، عادت إليه نفس الصورة الجميلة التي
كان عليها بعد أن تحسنت أخلاقه. فقال له الوزراء: كنا
ننتظر وصولك منذ زمن بعيد، لكن الغلام قال لهم: إنني
لا أستحق كل هذا الشرف، لقد أهنت والدتي التي أتت
بي إلى هذه الدنيا، ولن أهدأ حتى أعثر عليها وأطلب
منها الصفح والمغفرة.

أثناء حديثه هذا وقعت عينًا الغلام على الطريق الذي يوصل
إلى باب المدينة، فلمح المرأة العجوز أمه وبجانبها الشحاذ
العجوز الذي أعطاه قطع الذهب الثلاثة. فصرخ الغلام من شدة
الفرح، وجرى إلى أمه ساجدًا على ركبتيه ليقبل قدميها
ويغسلها بدموعه قائلاً: لقد أنكرتك عندما كنت قويا، فهل
تقبليني وأنا ضعيف، لقد حملت إليك الكراهية فهل تعطيني
الحب، لكن المرأة العجوز لم تنطق بحرف واحد، فمد الغلام
يديه إلى الشحاذ وقال له: لقد أعطيتك ثلاث قطع من الذهب.
فاطلب من أمي أن تصفح عني. لكن الشحاذ العجوز لم ينطق
بحرف واحد.





أَخَذَ الْغُلَامُ يَبْكِي مِنْ جَدِيدٍ وَيَتَوَسَّلُ وَيَقُولُ:

اغفري لي يا أمي وإلا سوف أعود ثانيًا إلى الغابة،
وضعت المرأة يدها على رأسه وقالت له:

انهض الآن.. ووضع الرجل العجوز يده على رأسه
وقال: انهض..

بعد أن نهض الغلام واقفًا، نظر إليهما بدهشة، فإذا
به فجأة أمام ملك وملكة. قالت له الملكة: هذا هو والدك
الملك الذي كان يبحث عنك بنفسه.

فقال الملك: وهذه هي والدتك الملكة التي غسلت قدميها
بدموعك، لقد بحثت عنك طويلاً بنفسها.

فألقي الغلام بنفسه بين ذراعي والديه ليقبلهما، ثم
دخل معهما إلى القصر حيث ارتدى أحلى وأفخر الثياب
التي تليق بسلوكه الشجاع الطيب.. وبعد أن
رق قلبه وامتلاً بحب الناس نصبة والده ملكاً على البلاد
فوضع تاج العرش على رأسه.

وهكذا أصبح الغلام ابن النجم الكبير حاكماً على هذه
المدينة التي تطل على شاطئ النهر، فحكم بكل عدالة

ورحمة، كما عاقب السَّاحِرَ
الشرير وأرسل إلى الحطَّابِ
وزوجته وأولاده الهدايا
الثمينة جزاءً لهم على
حُسن مُعاملته. فأخذ يعلمُ
مملكته الحب والتَّسامحَ
والرحمة، كما أحسنَ
للفقراءِ فَعَرَفَتْ بِلادُهُ
الرخاءَ والسَّلامَ.





أسئلة على القصة

- ١ - لماذا سُمي بطل القصة باسم « ابن النجم الكبير » ؟
- ٢ - صف أخلاق كل من الحطابين ؟
- ٣ - لماذا قال الحطاب لزوجته : « إن البيت الذى يعيش فيه قلب قاس لا بد أن يدخله الهواء البارد » وما تأثير هذه الجملة على زوجة الحطاب ؟
- ٤ - هل أخلاق ابن النجم الكبير كانت تتناسب مع جمال وجهه ؟ ولماذا ؟
- ٥ - ما هي الدروس التى كان يحاول الحطاب أن يعلمها لابن النجم الكبير ؟
- ٦ - كيف عامل ابن النجم الكبير المرأة العجوز التى كانت تجلس تحت الشجرة ؟ ومن أنقذها منه ؟
- ٧ - لماذا صرخت المرأة العجوز ووقعت على الأرض مغشياً عليها ؟ وكيف تعرفت على ابنها ؟
- ٨ - كيف قابل ابن النجم الكبير المرأة العجوز حين عرف أنها أمه بعد أن قصت عليه قصتها ؟

٩ - مَا هِيَ الْمَوَاقِفُ الَّتِي أُدَّتْ إِلَى تَغْيِيرِ هَيْئَةِ ابْنِ النَّجْمِ الْكَبِيرِ
إِلَى هَيْئَةِ ضَفْدَعٍ؟

١٠ - مَا هِيَ الْمَوَاقِفُ الَّتِي أَعَادَتْ إِلَى ابْنِ النَّجْمِ الْكَبِيرِ هَيْئَتَهُ
الْجَمِيلَةَ؟

١١ - مَا هِيَ الدَّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

